احتفالية الختان
فى اليمن

دراسة فى الأدب الشعبى اليمنى

د/ طلعت عبد العزيز أبو العزم

احتفالية الختان فى اليمن

دراسة فى الأدب الشعبى اليمنى (*)

د/ طلعت عبد العزيز أبو العزم

قسم اللغة العربية كلية الآداب سوهاج

الختان هو موضع القطع من الذكر والأنثى، فيقال «ختن الصبى ختناً وختاناً وختانة قطع قلفته، فهو مختون، ويقال أيضا: ختن الصبية وهو ختن»(١). ومن العجيب أن العرب تستخدم كلمتى «أغرل وأقلف» للدلالة على العام المخصب(٢).

والختان من سنن الفطرة التى أوصى بها الرسول ﷺ «اقتداء بهدى أبينا إبراهيم عليه السلام، وكفانا بهذا فضلاً وشرفاً»(٣). فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الفطرة خمس: الاختتان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار، ونتف الإبط»(٤). وكذلك يعد الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء(٥).

وفى المجتمعات العربية والإسلامية يعد الختان واجباً دينياً واجتماعياً على الأب أو الولى «ففيه إقامة لشعائر إسلامية وإحياء لها، وهو مناسبة اجتماعية تتيح اجتماع الأسرة والأرحام والجيران، وإقامة أسباب الألفة والمودة بين المسلمين»(٦). ورغم أن فى الختان استغناء عن جزء خلقه الله فى بدن الإنسان، لكن لهذا الاستغناء فائدة دينية وبدنية «فهو يربى فى الإنسان إرادة التضحية إعترافاً بعبودية الإنسان لربه الذى خلق فيه هذه الأعضاء، وكذلك فهو طهارة ونظافة للإنسان من أجل إقامة شعائر دينه»(٧).

(*) جمع الباحث مادة هذه الدراسة خلال مدة إعارته لجامعة صنعاء باليمن من عام ١٩٨٨ إلى عام ١٩٩٢.

وللختان موعدان: الأول فى اليوم السابع لميلاد الطفل، وفيه اقتداء بأمر الرسول الكريم، فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «اختنوا أولادكم يوم السابع، فإنه أطهر وأسرع نباتاً للحم»(٨). ومن سنن النبى عليه السلام ذبح شاتين للولد يوم ختانه، وذبح شاة واحدة للبنت(٩). أما الموعد الثانى للختان فيتم فى السنة السابعة من عمر الطفل.

وتهتم الأسرة العربية فى اليمن بختان الذكور، والشائع هنا ختان الطفل الذكر فقط فى اليوم السابع لمولده، وبعد اليوم السابع يتم الاحتفال بهذه المناسبة بصورة محدودة - وإن كانت مكلفة - فتحضر النساء بعد الظهر لتهنئة الأم وللسمر. ومن مظاهر الاحتفال بهذا النوع من الختان «قراءة القرآن الكريم وإنشاد القصائد. وتستمر الأم الوالدة فى استقبال وفود المهنئات - فى حجرة الولادة- إلى اليوم الأربعين. وقد تتكلف الولادة أكثر مما يتكلفه الزواج من نفقات، ولذلك يقال فى الأمثال الدارجة فى اليمن (عرسان ولا ولاد)، أى أن نفقات حفلات الزواج أهون من نفقات ولادة واحدة»(١٠).

ويحظى ختان الطفل فى اليمن- فى السنة السابعة من عمره- باستعداد خاص من الأسرة ومظاهر احتفالية متعددة للتعبير عن الفرحة بهذه المناسبة الدينية والاجتماعية. كما تختلف احتفالية الختان فى اليمن من مكان إلى مكان حسب المكانة الاجتماعية للأسرة وقدرتها المادية فى البلدة أو القرية. ونظراً لأن هذه الدراسة قد أجريت على حفل ختان فى بلدة (عبس ثواب) التابعة للواء حجة باليمن، فسوف نصف احتفالية الختان كما تحدث بهذه البلدة. وتقع (عبس ثواب)- وهى بلدة ريفية- شمال مدينة الحديدة بمسافة ١٢٥ كيلو متراً ، وعدد سكانها حوالى عشرة آلاف نسمة وتتبعها كثير من القرى، ويعمل معظم سكانها فى الزراعة والرعى، وتتشابه عادات الختان وأفراحه - فى هذه البلدة - بمثيلتها فى قرى ساحل تهامة باليمن.

يبدأ الأب فى الاستعداد لهذه المناسبة بادخار الأموال اللازمة لتغطية نفقات الختان وأفراحه، مثل شراء الكباش التى تذبح لإعداد الولائم للضيوف والمهنئين،

ودفع أجور فرقة الطبالين والمنشد أو المنشدين، وكذلك أجور الراقصين لبعض أنواع من الرقص الشعبى، فضلاً عن شراء كميات كبيرة من القات الذى أصبح مضغه وتخزينه من العادات الاجتماعية الخاصة المنتشرة لدى معظم أفراد الشعب اليمنى[١١]. وكذلك شراء أشجار الدخان، والفحم وإعداد المدائع (الشيش أو النارجيلات) حيث يتم تدخين «المدائع» مع تخزين القات، سواء من الرجال أم من النساء، وكذلك شراء المياه الطبيعية[١٢]، ونوع آخر من المياه الغازية يرتشف مع تخزين القات ومضغه.

وقبل الختان بيومين يتفق الأب مع أصحاب الطبول، وهم فرقة الطبالين الذين يقومون بالضرب على الطبول طوال يومى احتفالية الختان، وكذلك يتفق الأب مع نشاد (منشد شعبى) أو شاعر شعبى من الذين يجيدون إنشاد الأغانى الشعبية فى الأفراح والمناسبات الاجتماعية.

وتشغل احتفالية الختان فى اليمن - خاصة فى البلاد الريفية- يومين ، يسمى اليوم الأول بيوم الغسل، وهو اليوم السابق ليوم الختان. وتبدأ مظاهر الاحتفالية فى هذا اليوم بعد صلاة العصر مباشرة، حيث تبدأ فرقة الطبالين فى الضرب على الدفوف والطبول أمام منزل الأسرة التى تحتفل بختان طفلها (انظر الصورتين رقمى ١، ٢). وتتكون هذه الفرقة - فى حدها الأدنى - من أربعة رجال: اثنين للضرب على الدفوف، واثنين للضرب على الطبول. وتتراوح أجرة هذه الفرقة مابين الألف والألف وخمسمائة ريال يمنى.

بمجرد سماع صوت الطبول والدفوف يتجاوب أهل البلدة أو القرية والجيران بالحضور إلى منزل الأسرة. وللنساء مكان خاص بهن فى المنزل، حيث يتوافدن إليه ويجتمعن مع الأم ويتولين أول مهمة لهن فى هذا اليوم، وهى غسل رأس الولد المراد ختانه، ثم غسل بقية جسمه.

ويعد سرير خشبى خاص لعملية الغسل، حيث يجلس عليه الولد، وتقوم الأم مع أقاربها من النساء- وتساعدهن جارية «صبية» - بغسل رأس الولد فى صحن واسع بثمر النبق الجاف بعد طحنه[١٣]، ثم بالماء والصابون. ومع بداية غسل رأس

الولد يستفتح بقراءة القرآن ، فتقرأ الفاتحة وسور الإخلاص والفلق والناس، وبعد ذلك ترتفع الزغاريد من النساء ويهلل الرجال ويكبرون. وقد يطلق بعضهم - أمام منزل الأسرة- (الطماش) وهى الأعيرة النارية من البنادق الآلية أو المسدسات ابتهاجاً وتعبيراً عن الفرحة بهذه المناسبة.

وبعد الغسل تقوم النساء بإهداء الولد مالا يسميه اليمنيون (النقط)، ويقدم إليه من النساء فقط يوم الغسل فى هيئة أوراق نقدية مفردة (فكة) وليست مجمدة، أى تقدم إليه كل واحدة من النساء هديتها من المال ريالات مفردة (من عشرين إلى مائة ريال مثلاً) . أما النقط للرجال فلا يتم إلا بعد الختان. وعملية نقط النساء للولد عجيبة حقاً ، فبعد غسل رأس الصبى وبقية جسمه يظل جالساً على سرير الغسل، ثم تتوافد النساء عليه، وتضع المرأة الريال إثر الريال على رأسه المغسول، ثم تتناوله وتضعه فى الصحن الفارغ الذى غسل فيه رأس الولد قبل ذلك. وبعد أن تنتهى جميع النساء من نقط الولد، تجمع الجارية الريالات كلها من الصحن وتسلمها لأم الولد ، وعندئذ يتوقف ضرب الدفوف والطبول.

وبعد الغسل والنقط يرتدى الولد زياً خاصاً بالختان، ويقوم والده بإلباسه هذا الزى ويسمى فى اليمن (بدلة) ويتكون من :

١- الكوفية : وهى طربوش مصنوع من جدائل الخيزران، ويلبسه الولد فوق رأسه.

٢- القميص الأبيض : ويسميه اليمنيون (شميز).

٣- الخلق الأبيض: وهو ثوب من القماش الأبيض ، وغالباً مايصنع من القطن، ويلف به جسم الولد من وسطه حتى قدميه.

٤- الجنبية : وهى خنجر له غمد (جراب) وحزام من الجلد يربط حول وسط الصبى فوق القميص والخلق.

٥- الشال: وهو قطعة من القماش القطنى الأبيض الخفيف ، يلف حول رأس الصبى فوق الجبهة والكوفية.

٦- الفل القريشى [١٤] حيث ينظم منه عقد طويل تلف به رأس الصبى فوق الشال (انظر بدلة الختان صورة رقم ٣).

وبعد الانتهاء من لبس بدلة الختان يكون قد تم الاستعداد لعملية أخرى تسمى «العرضة».

العرضة: هى زفة الختان حيث يخرج الطفل من بيته تصاحبه فرقة الطبالين وأبوه وأقاربه وجمع غفير من الناس، رجالاً وأطفالاً فقط دون النساء. ويذهب الجميع - والطبول تدق- إلى مسافة بعيدة حيث توجد ساحة واسعة من الأرض تتسع لجموع الناس، وعند خروج الولد من البيت ينزع الجنبية (الخنجر) من غمدها ويمسكها فى يده اليمنى، ثم يرفعها بمحاذاة رأسه محركاً إياها للأمام وللخلف. وتصاحب العرضة فى الساحة الواسعة رقصة شعبية يمنية تسمى «التبريش» (انظر الصورة رقم ٤) حيث يصطف الرجال والشباب ومعهم الأطفال صفاً واحداً، وتنعقد أذرعتهم فى بعضهم البعض، فكل شخص تنعقد ذراعاه فى ذراعى جاريه يميناً وشمالاً، ثم يحركون أرجلهم على الأرض بطريقة إيقاعية منتظمة مع دقات الطبول وتستمر العرضة إلى ماقبل صلاة المغرب، وحينئذ تتوقف الطبول لتبدأ عملية خاصة بالطبالين تسمى «التحميس».

والتحميس هو تدفئة جلود الطبول والدفوف بالنار، فتشعل لذلك كومة من الحطب والخشب، وتقرب الأسطح الجلدية للطبول والدفوف من النار ، وحينما تصل حرارة النار إليها تشتد جلودها وتتماسك، ويصبح صوت الضرب عليها قوياً. ثم تواصل فرقة الطبالين الضرب على الدفوف والطبول وهى تزف الولد فى طريقه مرة أخرى إلى بيته. وهناك يستقبل بزغاريد النساء وتنتهى العرضة وقت المغرب. وبعد الوصول إلى البيت ينصرف الضيوف ماعدا فرقة الطبالين حيث يقدم طعام العشاء إليهم، ويخزنون القات إلى وقت صلاة العشاء.

وبعد صلاة العشاء تدق الطبول والدفوف مرة أخرى إيذاناً ببداية مرحلة أخرى من مراحل احتفالية الختان وتسمى «السارية» [١٥]، وهى سير فرقة الطبالين

ليلاً إلى الساحة الواسعة بالبلدة أو القرية، تصحبها أعداد غفيرة من أهل البلدة، رجالاً وشباباً فقط دون النساء، وفى هذه الحالة ليس من المهم حضور الولد، بل يجب أن يخلد للنوم استعداداً لليوم التالى وهو يوم الختان «القطع».

وعند الوصول إلى الساحة تكون أعداد النساء - الوافدات فى جمع خاص بهن دون الرجال - قد تزايدت للمشاركة فى أفراح السارية حيث تؤدى أنواع مختلفة من اللعب والرقص الشعبى اليمنى، مثل رقصة الشرجى، والمخدمى ولعبة السيف، ولعبة الجدبى، والرقصة التهامية، وإنشاد الأغانى الشعبية. ويستمر الضرب على الطبول والرقص والغناء إلى ماقبل صلاة الفجر.

لعبة السيف :

يشترك فى هذه اللعبة الشعبية اثنان أو أكثر من اللاعبين ويؤديها الشباب من الرجال أكثر من الشيوخ، فهى تحتاج إلى خفة ومهارة ونشاط وسرعة حركة. ويمسك كل لاعب فى يده بالجنبية (الخنجر) ويلوح بها ويقفز عالياً فى الهواء ثم يهبط إلى الأرض، مؤدياً حركات سريعة فى خفة ورشاقة. ويعبر الحاضرون- الذين يصطفون فى دائرة- عن إعجابهم بالصيحات الحماسية والتصفيق وكذلك بالمشاركة فى أداء هذه اللعبة الشعبية (انظر الصورة رقم ٥).

لعبة الجدبى:

وهذه اللعبة ينحصر إتقانها فى عدة أشخاص فى كل منطقة، فلا يجيدها سوى أشخاص قليلين، بل إن بعض من يجيدها يتخذها وسيلة للارتزاق والتكسب، حيث يشارك بها فى المناسبات الاجتماعية مثل احتفاليات الزواج، والختان. وتؤدى هذه اللعبة حيث يقف الرجال والشباب مصطفين فى دائرة، ويدخل اللاعب وسط هذه الدائرة مرتدياً الفوطة اليمنية، فوقها الشميز، ثم يعرى بطنه، ويجرى ممسكاً فى يده سكيناً حادة، ثم تقرع الطبول، فيجرى اللاعب داخل الدائرة بسرعة، ويزداد

إيقاع الطبول، فيعود اللاعب مسرعاً ويطوف على المشاهدين مرة أو اثنتين أو ثلاث مرات، ويرفع السكين عالياً ثم يهبط بها فجأة ضارباً بها بطنه وكأنه يطعن نفسه، وبالطبع لاتسيل منه أية دماء، فهى لعبة مهارة حركية تشبه ألعاب الحواة فى مصر. ويصفق الحاضرون ويصيحون مستحسنين أداءه، طالبين منه إعادة اللعبة، وضرب بطنه بالسكين مرة أخرى، ويلقون إليه بالريالات تعبيراً عن استحسانهم لأدائه. ومن أشهر الرجال الذين يؤدون هذه اللعبة بمهارة فى بلدة (عبس ثواب) باليمن رجل عجوز يسمى (عبد الله العلوانى). (انظر الصورة رقم ٦).

ومن أشهر الرقصات الشعبية التى يحبها اليمنيون، وتؤدى كثيراً فى ليلة السارية رقصة تسمى رقصة المطولى.

رقصة المطولى:

هى إحدى الرقصات الشعبية المنتشرة فى منطقة تهامة باليمن (١٦) ويرقصها الرجال والشباب والأطفال، كما ترقصها النساء فى رقصات خاصة بهن. ويقال إن المرأة اليمنية تلام إذا حضرت حفلاً ولم تشارك فى هذه الرقصة.

ويقال كذلك إن الموطن الأصلى لهذه الرقصة هو منطقة (وادى مور) (١٧)، وتقع فى لواء الحديدة، وتتبع ناحية الزهرة. ويعتمد أهل هذه المنطقة على الزراعة والرعى، كما يقال إن أهل هذه الرقصة الحقيقيين هم أهالى قرية (العبدة) فى منطقة وادى مور.

وتؤدى رقصة المطولى فى كثير من المناسبات الاجتماعية فى اليمن، خاصة فى الزواج والختان والأعياد. ففى الزواج تؤدى فى المنزل الذى يقام فيه الفرح بصورة جماعية، أما فى الختان فأكثر من يرقصها الرجال، وقد تشترك فى أدائها النساء والأطفال، ولكن بصورة قليلة. كما يؤديها الرجال فى الأعياد، خاصة فى صباح يوم العيد وعصره، وتؤدى هذه الرقصة كذلك فى مناسبة قدوم ضيوف أو زائرين أعزاء.

وتسمى هذه الرقصة بالمطولى لأنها تستغرق وقتاً طويلاً فى أدائها. ومع هذا فإن من يشارك فيها لايشعر بالملل أو السأم أبداً من طولها، وأغلب الشعب اليمنى يجيد هذه الرقصة ويحبها. ولهذه الرقصة اسمان آخران هما: الحقفة والبراشة. وبالرغم من أن موطن هذه الرقصة هو (وادى مور) لكنها سرعان ما انتشرت فى مناطق زبيد والزيدية والحديدة ومعظم مناطق تهامة باليمن، بل إنها انتشرت خارج اليمن فى منطقتى جيزان وأبى عريش وبعض مناطق عسير بالمملكة العربية السعودية عن طريق اليمنيين الذين هاجروا إلى هذه المناطق أو استقروا فيها. ويعد انتشار رقصة المطولى فى هذه المناطق تعبيراً عن أن التراث الشعبى اليمنى متحرك مع أبنائه أينما يرتحلون ويقيمون.

والعجيب فى هذه الرقصة حقاً- بل وفى كثير من الرقصات الشعبية اليمنية- أن من يدعى للمشاركة فيها وليس له دراية سابقة بها، سرعان مايستجيب لنداء الجماعة ويؤديها بطريقة عفوية تلقائية. ولعل هذا يمكن تفسيره بأن الرقص الشعبى فى اليمن سلوك اجتماعى، يمارسه الفرد وجماعته التى ينتمى إليها فى مناسباتهم الاجتماعية التى يحتفلون بها.

كذلك فإن رقصة المطولى تؤدى بمصاحبة الغناء وإنشاد الشعر الشعبى، وباستخدام العود وإيقاع أنواع مختلفة من الطبول. ومن أهم هذه الطبول وأشهرها:

الزيـر:

ويعد من أشهر الطبول التى يكثر استخدامها فى إيقاع الرقصات الشعبية فى اليمن، ويصنع الزير من الخشب المقوى، وسطحه من جلد الأغنام أو الأبقار أو الإبل، وينتهى بفجوة واسعة غير مغطاة بأى شىء لتسمح بمرور الصوت عبر الهواء. ويثبت الزير فى وسط (النقار) وهو الرجل الذى يتولى الضرب عليه ودقه بيديه بواسطة حبل من الليف المجدول أو حزام من الجلد .(انظر الرسم).

٢- الزلفة :

وهى تحتل المرتبة الثانية بين الطبول التى تستخدم فى إيقاع الرقصات الشعبية فى اليمن، وتصنع من مكونات الزير نفسها، لكن جسمها الخشبى أطول من الزير وأدق (رفيعة). فالزير بالنسبة للزلفة قصير وعريض فى جسمه الخشبى. وكذلك تنتهى الزلفة بفجوة فى آخرها تسمح بخروج صوت الطبل. (انظر الرسم).

ويستخدم النقار (ويسمى المزلف) عصاتين فى النقر على الزلفة، ولاتربط الزلفة فى بطنه- كما هو الحال مع الزير- بل يضعها النقار بين رجليه وينقر عليها وهو جالس فى موضع الحفل.

وتؤدى رقصة المطولى بمجموعة كبيرة من الناس فى مساحة واسعة من أرض الحفل تسمى (الحلقة). وتنقسم هذه المجموعة من الناس إلى قسمين متساويين ومتقابلين، كل قسم يواجه الآخر فى شكل نصف دائرى أو بيضاوى. وتقوم كل مجموعة بالدوران تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال، فى إتجاه القسم الآخر، وبينما هى تتحرك تؤدى حركات إيقاعية مع الطبول بأقدامها وأرجلها. ويتجه القسم الآخر فى إتجاه عكسى للقسم المواجه له، أى إلى الاتجاه تفسه الذى تحرك منه القسم أو المجموعة المواجهة له، بحيث لايلتقيان فى حركتيهما، بل يلتقيان فى إيقاع الأرجل والأقدام مع إيقاع الطبول.

ويتوسط شاعر شعبى، أو منشد، الحلقة، تواجهه مجموعة النقارين والطبالين، وحولهم يصطف الراقصون فى مجموعتين كما ذكرنا. ويتولى الشاعر الشعبى أو المنشد «ويسمى فى اليمن النشاد» فى بداية الرقصة إنشاد مقطوعة من الشعر الشعبى، بينما يظل الراقصون واقفين وتظل الطبول ساكنة لاتقرع، ويقف الجميع منصتين للشاعر، ليحفظوا فى ذاكرتهم المقطوعة الشعرية التى أنشدها. وعندما ينتهى الشاعر النشاد من مقطوعته، يبدأ قرع الطبول، ويبدأ الراقصون فى حركاتهم الإيقاعية المنتظمة- فى حلقة الحفل - وهم يرددون المقطوعة الشعرية التى أنشدها الشاعر الشعبى. وتظل الأغانى الشعبية والمقطوعات الشعرية المتنوعة تنشد يصاحبها الطبل والرقص حتى نهاية الحفل قبل الفجر.

ونظراً لأن مناسبة الختان تعد من المناسبات الاجتماعية التى تهتم بها كثير من المجتمعات العربية والإسلامية، وتوليها قدراً كبيراً من الاهتمام، فقد كان من الطبيعى أن «ينعكس هذا الاهتمام على الأغنية الشعبية، فتتعدد نصوصها وتكثر بالقياس إلى أغانى السبوع»[١٨]. وفضلاً عن هذا، يلاحظ الدارس أن مظاهر الاحتفال بالختان فى اليمن متعددة ومتنوعة ، بين الرقص الشعبى، وضرب الطبل، وغناء الأغانى الشعبية، بل إن نصوص الأغانى الشعبية نفسها كثيرة ومتعددة.

وعادة ماتبدأ الأغنية الشعبية- فى هذه المناسبة - بمدح الرسول عليه الصلاة والسلام، وطلب الثواب من الله سبحانه وتعالى، والدعاء بتفريج الكروب وتيسير الأمر المطلوب. ومما ينشده الشاعر الشعبى أو النشاد فى تلك الليلة «ليلة السارية» مع رقصة المطولى:

صل يارب على طه الحبيب — سيدنا وسيد كل الناس
من أزال الشك عنا باليقين — وآله هم خيار النـاس

وكذلك ينشد الشاعر الشعبى أو النشاد داعياً الله ومادحاً الرسول الكريم، طالباً من الله الثواب للجميع رائح وغاد، وتفريج الكروب، وتيسير الأمر الذى يسعى إليه صاحب الحفل:

إلهى كلنا فـى يمانـك — وحطنا بالنبى والأصحاب
والهمنا المتاب بالثـواب — لباب الله رائح غـادى
إلهى بالنبـى الهـادى — ومن قد حل ذاك الوادى
تول الكل واجعـل زادى — أقل الـزاد أغلـى زادى
إلهى بالفرج للمكـروب — ويسر أمرنـا المطلـوب
بمدح المصطفى طاب الحال — وفزنا بالرضا والوصـال

ومن هذه الأغانى الشعبية التى تتردد فى مناسبة الختان فى اليمن، مدح الرسول واستغفار الله رب الكعبة والبيت الحرام، وينشدها النشاد بطريقة إيقاعية

جميلة، ويرددها الراقصون بعده بيتاً بيتاً، ومقطعاً مقطعاً، بينما هم يهتزون مع إيقاع الطبول:

صلى الرحمن على المختار خير الأخيـــار العدنـــان
خيـر الأخيـــر العدنـــان
يارب البيت استر مارأيت وامح مامحيت من عصيانـى
وامح مامحيت من عصيانى
استر عيبى وامح ذنوبـى واصلـح شانـــى ياديـــان
واصلح شانـــى ياديـــان
عبدك عندك يرجو عفوك مالـــه غيـــرك يارحمـــن
مالى غيـرك يـا رحمـــن
وصلاة الله وســلام اللـــه لنبـــى اللـه العدنـــان
لنبى اللـــه العدنـــان

وهناك نماذج أخرى من الأغانى الشعبية التى تنشد مع رقصة المطولى، فلا غنى عن الشعر الشعبى والأغانى الشعبية مع هذه الرقصة. وهذه الأغانى- بصفة عامة- متعددة الموضوعات، بين الحب والغزل وشكوى الحبيب، والحديث عن لوعة المحبين وكيد العازلين. كما تعكس بعض هذه الأغانى الشكوى المرة من بعض مظاهر الواقع الاجتماعى فى اليمن، خاصة حينما تزوج الفتاة دون أخذ رأيها، وكأنها تباع لمن يدفع فيها مهراً غالياً، دون النظر إلى خصال الزوج وصفاته. وتعكس مثل هذه الأغانى رغبة الفتاة فى زوج يحبها وتحبه، وتبدى الفتاة - فى سبيل هذه الرغبة - استعدادها للتضحية بكل غال ونفيس.

وفضلا عن هذا ، تعبر هذه الأغانى الشعبية عن التطور الاجتماعى فى اليمن، حيث اهتمت حكومة الثورة اليمنية بنشر التعليم فى مراحله المختلفة من الإبتدائى حتى الجامعة. ومن هنا نجد الفتاة- فى الأغنية الشعبية- تبدى رغبتها فى الزواج من شاب متعلم. كما عكست أخيراً هذه الأغنيات الشعبية نتائج أحداث

حرب الخليج، حينما عاد كثير من اليمنيين إلى بلادهم بعد أن فقدوا مصادر أرزاقهم، ليعيشوا حياة مختلفة تماماً عن حياتهم فى المهجر العربى.

ونظراً لأن رقصة المطولى الشعبية منتشرة فى منطقة تهامة باليمن- كما ذكرنا من قبل - فإن كثيراً من الأغنيات الشعبية التى تنشد مع هذه الرقصة تحمل خصائص لهجة أبناء تهامة، فالسين تنطق شيناً للدلالة على قرب وقوع الفعل (سأفعل = شأفعل) والقاف تنطق جيماً والـ التعريف تنطق أم، والفعل المضارع المسند إلى ضمير المفرد المؤنث يأتى فى صيغة فعل ماضى منتهياً بنون النسوة، بالإضافة إلى كثير من الألفاظ الخاصة بأهالى تهامة.

وتتميز مثل هذه الأغانى بالبساطة فى مفرداتها وعدد أبياتها، والتلقائية فى إنشادها وغنائها، وبسهولة حفظها وسرعة تجاوب الراقصين معها. كما تعكس هذه الأغانى عاطفة الحب العميقة، كعاطفة إنسانية نبيلة، وتجسد روح الإنسان اليمنى الشفافة وصدق مشاعره. كما تتميز مقطوعاتها بالقصر والتنوع فى القوافى، وتحمل بعض ألفاظها الخصائص الصوتية للهجة بنى زبيد وتهامة باليمن (١٩).

ففى هذه المقطوعة من الشعر الشعبى- وهى بلهجة تهامة - ينشد الشاعر متحدثاً عن لسان فتاة محبة، تعبر عن حزنها لأن أخاها قد حرمها من حبيبها وفرق بينهما. ويلاحظ أن هذه المقطوعة مختلفة فى عدد مقاطعها وأبياتها، فالمقطع الأول يتكون من بيتين مقفيين، ويتحدث هذا المقطع عن حزن الفتاة وشكواها مما فعله أخوها، حيث فرق بينها وبين حبيبها. وفى سبيل استعادة المحبوب تبدى الفتاة رغبتها فى عمل أى شىء (حتى لو كان مصيبة) ومهما كانت صنعاء بعيدة للمسافرين عن منطقة تهامة، فهى قريبة من أجل استعادة محبوبها:

بأشتكى أنا يا أخويا　　صنعاء قريبه
نجفونى حبيبى　　شاهب مصيبه (٢٠)

وفى المقطع التالى من الأغنية- ويتكون من بيتين أيضاً- تصف المحبوبة حبيبها، فقد سيطر على عواطفها بحبه، وانقادت له بكل مشاعرها كأنما هو يطويها فى جيبه كطى ورقة نقدية «ذات المائة ريال». ثم تمدح الفتاة محبوبها بما يشبه الذم- فى نوع من البساطة التى يتميز بها أهل الريف- فتقول أنه أصم وأمى، فهو لايسمع مايقوله العوازل عنها، كما لايقرأ مايكتبونه، لأنه يعرف حقيقة العزال الذين يرغبون فى التفرقة بينهما:

مخضرى طوانى فى جيبه طوى أم ميـــه (٢١)

وا اماه حبيبـــــــى أصم وأميـــه (٢٢)

أما المقطع التالى من الأغنية فيتكون من ثلاثة أبيات، تؤكد فيها المحبوبة أنها وحبيبها يكفيهما الزاد القليل، حتى لو كان هذا الزاد كوباً من العصير. لكن الذى يعوقها عن اللحاق بحبيبها هما أبواها، فلو سلما بحبها الطاهر لهذا الحبيب لطارت إليه بسرعة وخفة مثل الطيور، أما لو اعترض والداها طريق حبها، فستفعل أى شىء لمنعهما ولو اضطرت لربطهما بالحبال فى أحد أركان الدكة الخشبية بالبيت. ويلاحظ أن موسيقى القافية متوافقة فى الشطر الأول من البيت الأول مع الشطر الثانى من البيت الثانى، أما البيت الثالث فيحدث فيه نوع من الفرقعة - متمشية مع أصوات الطبول- وهى فرقعة بعض الألفاظ التهامية الغريبة:

وناونا كوب عصيـــــر يسدنى أنا وحبيبـــــى (٢٣)

وناونا لو أسلم أمـــى وأبى لانفر واطيـــــر (٢٤)

وناونا أم جرجعة شاربط أمى وأبى فى أم كركعة (٢٥)

أما المقطع التالى من الأغنية فيتكون من بيتين مقفيين، وعقب انتهاء المنشد من إنشاد البيت الأول، يردد الراقصون جملة من شطره الأول ويحدث الأمر نفسه بعد البيت الثانى. وفى هذا المقطع تبدى المحبوبة حزنها، فقد طار حبيبها

وذهب منها كأنه طائر السعد. وهذا تعبير بسيط عن ضياع الحلم الجميل والحب السعيد الذى كانت الفتاة تترقبه. وتبدى الفتاة سبب ضياع حلمها وحبيبها إلى الحراسة القوية المفروضة حولها من قبل عبيد سود أشداء يحملون البنادق، وعيونهم ساهرة لحراستها:

طير السعود نافر ما التزم لـــى (٢٦)

طير السعود

عبيد سود حاذيين البنادق لـــى (٢٧)

عبيد ســود

وهنا نلاحظ أن هذه الأغنية الشعبية قد بلغت حداً عاطفياً مؤثراً، مصوراً لحالة تلك العاشقة الولهانة، وحينئذ يزداد إيقاع الطبول، ثم يزداد عدد أبيات المقطع التالى، فيأتى من أربعة أبيات، تصور فيها الفتاة لوعتها بموقف فتاة يتيمة مات أبوها فتقدم شخص لخطبتها، وهى لاترغبه لخصاله غير الحميدة، ولكن أمها وافقت على خطبتها له دون أخذ رأى صاحبة الشأن، فقبضت منه مبلغاً من المال. وتزداد حرقة الفتاة ولوعتها، فتعلن رفضها بشدة لهذا العريس، وتبكى بكاء مراً فى كل ساعة، وتطلب من أمها أن ترجع للعريس فلوسه. وتتمنى الفتاة- حينئذ وهى فى قاع اليأس- أن تأتى إليها قوة ما لتمنع عنها هذا الزواج الذى لاترغبه، وتعبر عن رغبتها فى هذه القوة بجملة «عساكر من عدن». ثم تصف الفتاة هذا العريس- الذى لاترغبه- ببائع اللبن، حيث يعتبر بيع اللبن شيئاً قبيحاً فى الريف اليمنى. ولاتكتفى الفتاة بهذه الخصلة غير الحميدة فيمن ترفضه عريساً لها، بل تصفه أيضاً بالجلوس فى الأزقة والحوارى الضيقة خلف الفتن والمصائب التى يعدها للناس، وهذا تعبير عن ضآلة شأنه، واحتقارها له:

يا اماه يغدوا لـــى عساكر من عـدن (٢٨)

غلبتنى أم يتيمـــه ساعة وبكـــن (٢٩)

رجعلوا له فلوســـه راعى أم لـــبن (٣٠)

جالس فى إم مزاقير يعد إم فـــتن (٣١)

وفى المقطع التالى من الأغنية الذى يتكون من بيتين يرد عقب كل بيت جزء منه فى صيغة جملة يرددها الراقصون ويلاحظ أن قافية الشطر الأول من البيت الأول تأتى متفقة مع قافية الشطر الثانى من البيت الثانى،وتسترجع الفتاة لحظة التقائها بالحبيب، حيث سقطت طرحتها من فوق رأسها، واقترب منها الحبيب وأحاطها بذراعيه القويتين، وأخذها فى سيارته الجديدة، وراحا يتنزهان بين أشجار التين البرشومى، وينعمان بلحظات الحب الهنيئة:

وناونا مْصَرِّى خَلَسْ حَلّ عَلَيه أَمْ بِجيلى (٣٢)

ومْصَرِّى خَلَسْ

سيارة خمسة وثمانين أَخَذْنى بين أَمْ بَلَسْ (٣٣)

وأَخَذْنى بين أَمْ بَلَسْ

ويأتى المقطع التالى من الأغنية على نظام المقطع السابق، مكوناً من بيتين، ويرد عقب كل بيت جملة يرددها الراقصون بعد المنشد وكل بيت ذو قافيتين، كل شطر قافيته مختلفة عن قافية الشطر الآخر، ويسير البيت الثانى على نظام البيت الأول فى قوافيه بشطريه، ويتحدث هذا المقطع- على لسان الفتاة- عن تضحيتها لحبيبها بعد أن مرض- وهذا تطور جديد قد حدث فى سياق الأغنية- فقد مرض الحبيب وأصبح راقداً لايستطيع الحركة. وهنا تطلب الفتاة من أمها أن تصرخ معها بأعلى صوتها حزناً على الحبيب، وتبدى الفتاة رغبتها فى التضحية ببيع ماتملكه من ذهب وأكثر منه، لتدفعه أجوراً للأطباء لعلاجه:

وناونا يا أماه اقْهَبِى ذاك حبيبى مُنَوَّمْ (٣٤)

يا أماه اقهبى

وناونا شأبيع اذْهبى وازوِّدْ للدكاتره وأعْظَمْ (٣٥)

شأبيع اذهبى

وينوع الشاعر المنشد فى أغنياته الشعبية، فينشد أغنية أخرى قصيرة المقطوعات، غير قصة هذه الفتاة التى عبر فيها عن تضحيتها فى سبيل محبوبها.

وقد سبق أو وضحنا أن هذه الأغانى التى تصاحب رقصة المطولى كثيرة ومتنوعة ومتعددة، فهى تستغرق الليل بطوله، من بعد العشاء حتى وقت الفجر. ولهذا التنوع أسباب يعرفها المنشد، فمعروف أن «طول النص أو الأغنية الشعبية قد يسبب الملل أو الضجر للجمهور، ومن هنا يلجأ المنشد إلى اختصاره فى مقطوعات قصيرة يسهل حفظها وترديدها، كما يلجأ إلى تنويعه فى عدة موضوعات وحكايات يحس أن الجمهور ينفعل بها ويتجاوب معها، وهو فى هذا وذاك إنما يستعرض موهبته ومهارته وقدراته ليجذب جمهوره إليه» (٣٦).

ويبدأ الشاعر الشعبى الأغنية الجديدة بمقطع مكون من ثلاثة أبيات، حيث ينشد قصة تقول إن شخصاً يدعى (إبراهيم خليل) قد تقدم لخطبة فتاة من أمها، وقدم للفتاة الفل القريشى، ولكن الفتاة لاتوافق عليه، فليس فيه صفة جميلة أو خصلة حميدة تنشدها، فهو غير متعلم، وقبيح، ويعمل راعياً للغنم. أما ما تطلبه الفتاة من أمها، فهو شخص متعلم «وصاحب قلم» فلا تريد سواه:

وإبراهيم خليل يا أماه ... مَدْلِى بِمْقُرِيشـــى (٣٧)

وَناونَـــا ماشايـــهْ ... جيفة يرعى أم غنم (٣٨)

يا أماه هَبِى لِى واحِدْ ... متعلم صاحب جلم

وهكذا نرى أن هذه الأغنيـة تمثل طوراً من أطوار التطور الاجتـماعى فى اليمن، حيث تفضل الفتاة - حالياً- شخصاً متعلماً يصونها. والأكثر من هذا أن الأغنية الشعبية اليمنية قد سجلت واقعاً اجتماعياً أليماً عاشه اليمنيون الذين كانوا يعملون فى السعودية ودول الخليج العربى، ثم تسببت رعونة صدام حسين- باحتلاله الكويت- فى عودتهم وفقد مدخراتهم فحرموا من الرزق الوفير، والسكن الجميل المريح، وحينما عادوا إلى بلادهم وجدوها مثقلة تئن بظروفها القاسية، وحينئذ انقلبت أحوالهم، فسكنوا العشش والسقايف، وأصبحوا- فى بلادهم - يسمون بالمغتربين. وهكذا نجد أن «حياة أى شعب من الشعوب هى التى تشكل ثقافته، ومن ثم لابد أن تنعكس على إبداعه الفنى» (٣٩).

وامغترب من أم صرف حجتك عند صدام (٤٠)

وامغترب من أم صرف

كبوا أم غرف . وردوا للسقايف (٤١)

كبوا أم غبرف

ويحاول المنشد أن يخرج جمهور مستمعيه من حالة الحزن التى ألمت بهم، حينما تحدث عن بؤس المغتربين، فيعود- فى المقطع التالى- ليمدح الزواج من ابنة العم. وهذه الظاهرة الاجتماعية شائعة فى الريف اليمنى، ويقول المنشد: إن الرجل إذا تزوج ابنة عمه وأحسن القيام عليها، فهى تحمل همه، وتربى أولاده، وتشاركه أعباءه، وتخفف عنه مصائب الحياة. فالأغنية الشعبية بهذا الشكل تعكس الواقع الاجتماعى اليمنى ومايحدث فيه من تطور:

وناونا وبنت عمك هيه خطيبتك

إذا تودن حبلى وبازيه فى مصيبتك (٤٢)

وتنتهى الأغنية الشعبية بمقطع يتكون من بيتين طويلين، ينتهيان بقافية موحدة، وتوجه فيهما الفتاة حديثها للمحبوب قائلة له: لولا كلام الناس وسعى الوشاة، لجعلتك تبيت عندى فى دارى. ورغم خشيتها من الوشاة، تعبر عن حبها للمحبوب فتقول له: إن أمها قد خيطت لها ثوباً جميلاً منقوشاً من الحرير الهندى، لتشعر المحبوب بأنها ستبدو فيه جميلة، وحينئذ سيزداد حبه لها:

وناونا لاسلم كلام الناس لارقدك عندى

وناونا وأمى فصلت لى ثوب هندى

وبعد هذه الليلة (السارية) الحافلة بالرقص الشعبى والأغانى الشعبية والألعاب، تنتهى أفراح اليوم الأول للختان قبل أذان الفجر. وينصرف الجميع، أما ضاربو الطبول فيبيتون فى بيت أهل المختون.

يوم القطع :

وهو اليـوم الثـانى والأخيـر من أيام الاحتـفـال بختـان الولد، فـبعـد شروق الشـمس، بتـوافـد الناس رجـالاً وشـبـاباً ونسـاء وأطفـالاً إلى بيت المختـون، ويقدم الإفطار لفـرقـة الطّبـالين، كمـا يتناول الولد فطوره. بعد ذلك يدخل الختـان الشـعبى حجـرة الولد ومعـه مـساعـدان يعـملان معـه فى هذه المهنة، ويغلقـون باب الحجرة عليهم، ولايبقى معهم إلا الولد. ثم يقومون له بعمليـة تسمى (الزر) [٤٣] ، حيث يأمر الختـان الولد بأن يمسك بـالجنبيـة (الخنجر) ويرفعهـا عـاليـاً فوق مستوى رأسه، وأن ينظر إليها فقط بحيث لايحيد بصره عنها. وبعد أن ينتهى الختان من ربط قلفة الصبى بخيـط محدداً مكان القطع، يخرج الولد من البيت مرتدياً بدلة الختـان، يزين الفل القـريشى رأسه، وتزفـه الطبـول وأهله وجمع غـفيـر من الناس، وترتفع زغـاريد النسـاء وصيحات الرجال وهتافاتهم، وتنطلق هنا وهناك أصوات (الطماش) الأعيرة النارية من البنادق والمسدسات ابتهاجاً بهذه المناسبة.

ويظل هذا الموكب سـائراً فى طريقـه إلى المكان المحدد الذى ستـجرى فـيـه عمليـة الختان، ويحرص المحيطون بالولد- من أهله وأقاربه وجيرانه- فى أثناء هذه الزفـة على بث الشـجـاعـة فى قلبـه، ونزع أى مظهـر من مظاهر الخـوف منه، فيرددون- بصورة جماعيـة- هتافاً يقول: «والذى قلبه ذليل لا شرق له يوم ثانى» أى أن الإنسـان الجبـان لايستـحق أن يعـيش ولا أن تشـرق الشـمس على حيـاته. وتستمر الزغاريد والصيحات والهتافات والضرب بالطبول وأصوات الطماش حتى يصل الموكب إلى المكان المحدد للختـان. وغـالبـاً مـايكون هذا المكان ربوة مرتفعـة قليلاً. وهنا يتقدم الختان الشعبى- ومعه مساعداه- ويأخذ الولد من يده، ويذهب به أمام الناس إلى الربوة حيث يقفان فوقها، وفى هذه الحالة تسكت الطبول، ويقف الناس جميعاً صامتين ساكنين فى انتظار إجراء الختان.

ويستخدم الختان الشعبى فى عملية الختان شفرة تسمى (الجامة)، وبينما يظل الولد واقـفاً رافعاً الجنبيـة أعلى رأسه ناظراً إليها، يقوم الختـان - بسرعة-

بقطع القلفة من نهاية حد الخيط الذى ربطه فى عملية الزر، ويرمى بالقلفة بعيداً ، ثم يتقدم مساعدا الختان المحيطان بالولد برفعه عالياً حتى تشاهده جموع الناس الواقفين أسفل الربوة، وعندئذ تنطلق زغاريد النساء، وتدق الطبول دقات سريعة، ثم يعود الموكب بالولد إلى بيته يحمله أبوه لعلاج جرحه ومداواته. وتستمر مظاهر الفرح مع الموكب حتى الوصول إلى البيت.

وبعد الوصول إلى البيت، يبدأ نقط المختون من الرجال والشباب، ويقف أحد أقاربه بجواره يسجل فى ورقة النقود التى أهديت له وأسماء أصحابها، فهذا النقط يعد ديناً عند اليمنى، والحياة الاجتماعية فى اليمن فيها تكافل وتراحم ومشاركة فى مثل هذه المناسبات، ولهذا يقوم والد المختون برد هذا النقط لمن أهداه لابنه فى مناسبات أخرى مقبلة.

ثمن تقام الولائم للجميع، حيث يقدم الطعام من لحوم الكباش التى ذبحت ابتهاجاً بهذه المناسبة، وتعاود فرقة الطّبالين الضرب على الطبول، فيتوافد الناس لمشاهدة الألعاب الشعبية والرقصات التى يشترك فيها أهل القرية أو البلدة. ومن هذه الألعاب ما وصفناه فى اليوم الأول لحفل الختان، مثل لعبة السيف ولعبة الجدبى والرقصة التهامية.

أما الرقصة التهامية فيشارك فيها كثير من الرجال والشباب، وفيها يمسك الرجل الراقص باثنتين من الجنابى (الخناجر) فى قبضتيه، فى كل قبضة جنبية واحدة، ويتحرك مع إيقاع الطبل بحركات سريعة بأرجله فى خفة ومهارة إلى الأمام وإلى الخلف، وترتفع صيحات الحاضرين استحساناً لحركات الراقص ومهارته. ويتوقف ضرب الطبّل وأداء الألعاب الشعبية من وقت صلاة الظهر إلى وقت صلاة العصـــــر.

أما بعد صلاة العصر فتبدأ فترة الرقص الشعبى الخاصة بالنساء، وتسمى هذه الفترة (تنشيره) . ومن هذه الرقصات رقصة (الرجحة) ، حيث تقف النساء فى حلقة دائرية، يقف وسطها الطبالون، وعندما يبدأ دق الطبول تبدأ الرقصة، فتقدم

كل واحدة من النساء رجلاً وتؤخر الأخرى فى حركة إيقاعية منتظمة مع الطبول، ومنتظمة أيضاً مع حركات أرجل بقية النساء ، وبين الآونة والأخرى ترتفع زغاريد النساء وتستمر هذه الرقصة الشعبية حتى غروب الشمس، وبها تنتهى احتفالية الختـــان.

ولعل ماوصفناه من الممارسات الشعبية فى مناسبة الختان فى ريف اليمن من طبل ورقص وغناء الأغانى الشعبية وألعاب ومظاهر أخرى، قد أتاح للقارئ إطلالة على هذا العالم الرائع، العالم الروحى للإنسان اليمنى.

الهوامـش

بالإضافة إلى الدراسة الميدانية على الواقع الشعبى بقرية (عبس ثواب) لواء حجة باليمن، فيما يلى أهم الهوامش للمراجع النظرية:

١- مجمع اللغة العربية بالقاهرة/ المعجم الوسيط/ جـ١/ط٢/ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢، مادة ختن.

٢- الزمخشرى/ أساس البلاغة/ تحقيق عبد الرحيم محمود/ دار المعرفة لبنان ١٩٨٢/ مادة ختن.

٣- ابن عساكر/تبيين الامتنان بالأمر بالاختتان، دراسة وتحقيق مجدى فتحى السيد/ دار الصحابة للتراث بطنطا / ط١/١٩٨٩ مقدمة المحقق/١٠.

٤- ابن عساكر/ السابق/ ٢٩.

٥- ابن عساكر/ نفسه / ٤٣.

٦- د. سيد فرج / الأسرة فى ضوء الكتاب والسنة / دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة /ط٣/١٩٩٢/١٦٦.

٧- د.سيد فرج المرجع السابق/١٦٤-١٦٦.

٨- ابن عساكر / تبيين الامتنان بالأمر بالاختتان/٤٢.

٩- ابن عساكر/ المرجع السابق/ هامش (١)/٤٣.

١٠- راجع/ د. حسن ابراهيم حسن/ اليمن البلاد السعيدة/ سلسلة كتب اخترنالك / العدد ٥٢/ دار المعارف بمصر/ بدون تاريخ/١٥٧.

١١- راجع/د. أحمد فخرى/ اليمن ماضيها وحاضرها/ مراجعة وتعليق د. عبد الحليم نور الدين/ المكتبة اليمينة للنشر والتوزيع/ط٢/١٩٨٨/٧٢.
وراجع/د . محمد محمد سطيحة/ اليمن شماله وجنوبه/ معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة ١٩٧٢/ ١٣٠-١٣٣.

١٢- إن ارتشاف الماء ضرورى مع عملية مضغ القات وتخزينه فى الفم «لأنه يمر على الأوراق المخزونة فى الفم، فيأخذ عصارتها المرة القلوية معه إلى المعدة» راجع/ د. محمد محمد سطيحة/ اليمن شماله وجنوبه/١٣٢. ومياه الصنابير فى اليمن لاتصلح للشرب إلا بعد غليها وترشيحها، ولذلك يميل معظم اليمنيين إلى شرب المياه الطبيعية المصفاة والمعبأة، وأشهرها مياه مناطق (حدة) و (شملان). ومع عملية التخزين يشربون نوعاً من المياه الغازية (كندا دارى) يساعد على تلبين القات المخزون فى الفم وترطيب حلق المخزن.

١٣- النبق: ثمرة السدر، وشجرة من الفصيلة السدرية، قليلة الارتفاع، أغصانها ملس بيض اللون تحمل أوراقاً متبادلة ملساء وأزهارها صغيرة متجمعة إبطية وثمرتها حسلة حلوة تؤكل (الحسل: النبق الأخضر) وهى تنمو فى مصر وفى غيرها من بلاد افريقية الشمالية/مجمع اللغة العربية/ المعجم الوسيط/ جـ٢/ مادة نبق/ كما تنمو هذه الشجرة فى اليمن ويستخدم اليمنيون ثمارها المطحونة فى غسل شعر رأس الولد قبل يوم ختانه تيمناً باسم هذه الشجرة «فالواحدة منها تسمى سدرة، وسدرة المنتهى شجرة فى الجنة» راجع كلمة سدر/ المعجم الوسيط / جـ١/وكذلك يستخدمها اليمنيون فى عملية الغسل جلباً للفائدة من ثمارها المطحونة فهى تحدث رغوة تساعد مع الماء والصابون فى تنظيف شعر رأس الولد فضلاً عن رائحتها الطيبة.

١٤- الفل: اسم يطلق اليوم على الياسمين الزنبقى، من جنس الياسمين من الفصيلة الزيتونية. المعجم الوسيط /جـ٢/فل. والفل القريشى فى اليمن من أجود أنواع الياسمين ورائحته عطرة جميلة نفاذه، ويستخدمه اليمنيون فى معظم أفراحهم ومناسباتهم الاجتماعية.

١٥- السارية: مأخوذة من «سرى الليل: أى قطعه بالسير» لأن مظاهر الاحتفال بالختان تستمر بعد صلاة العشاء إلى ماقبل صلاة الفجر. والسارية من السحاب التى تجئ ليلاً، والمطرة بالليل. المعجم الوسيط/ جـ١/سرى.

١٦- من أهم بلاد تهامة باليمن: حيس وعبس ثواب وزبيد وبيت الفقيه والحديدة وباجل والزيدية ومور، وكثير من القرى التى تتبع كل بلدة ومدينة منها. راجع: د. محمد محمد سطيحة/ اليمن شماله وجنوبه/ ١٦٩، وراجع: د. أحمد فخرى/اليمن ماضيها وحاضرها/٤٤.

١٧- من أهم الوديان التى تمتد إلى منطقة تهامة باليمن: وادى زبيد/ وادى رمع/ وادى سهام/ وادى سردود/ وادى مور، راجع: المراجع السابقة ونفس الصفحات.

١٨- د. أحمد مرسى/ الأغنية الشعبية/ المكتبة الثقافية/ العدد ٢٥٤/ القاهرة ١٩٧٠/٤٥.

١٩- ومن هذه الخصائص الصوتية: الطمطمانية أو الطمطمة . وهى إبدال (ال) بـ (ام) فيقال فى ابن العم= ابن ام عم، والمسافر= ام مسافر. وشىء من هذا الإبدال موجود فى لهجة المصريين الآن مثل كلمة (امبارح) أى البارحة. راجع: د. خليل نامى/ دراسات فى اللغة العربية /دار المعارف بمصر ١٩٧٤/٣٧. وراجع: د. خليل ابراهيم العطية/ دراسات فى اللهجات العربية «لهجة بنى زبيد» /بحث منشور بمجلة التراث الشعبى العراقية/ العدد الفصلى الأول شتاء ١٩٩٠/٣٣-٣٤ وراجع: عبد الله محمد الحبشى/ لغات اليمن فى لسان العرب/ بحث منشور بمجلة اليمن الجديد/ يناير ١٩٨٩/ ٦٨-٨٢ . والواقع أن كثيراً من اللهجات الحية المعاصرة يعد امتداداً لهجات العربية القديمة. راجع د. رمضان عبد التواب/ من امتداد اللهجات العربية القديمة فى بعض اللهجات المعاصرة/ بحث منشور فى مجلة كلية الآداب بسوهاج/ عدد خاص باسم (دراسات فى اللهجات العربية)/ ١٩٨١/١٧-١٨. وهذا الإبدال موجود أيضا فى فرع من فروع بنى حشيش لواء صنعاء باليمن وبقية القبيلة لاتشاركها ذلك الإبدال. راجع: محمد عبد الخالق الزبيرى/ دراسات فى اللهجة الصنعانية/ بحث منشور بمجلة اليمن الجديد/ يوليو ١٩٨٧/ ٧٧.

٢٠- نجفونى باللهجة اليمنية هى: نقفونى: أى أخذوا منى حبيبى وسلبونى إياه. شاهب: بلهجة تهامة: سأفعل.

٢١- مخضرى: صفة للمحبوب، فهو صاحب أحلامها الخضراء، وتشبه مانقوله فى الأغانى الشعبية فى مصر: ياحليوه. أم مية: الألف ميم الأولى بلهجة تهامة هى (الـ) التعريف، أى المية، وتقصد الورقة النقدية ذات المائة ريال يمنى.

٢٢- وا اماه: يا أماه. أمية : أمى لايعرف القراءة ولا الكتابة.

٢٣- يسدنى : يكفينا ويسد جوعنا.

٢٤- انفر : اطير وأحلق بسرعة وخفة مثل الطيور.

٢٥- أم جرجعة : القرقعة بلهجة تهامة، ومعناها: إننى لا أخشى أحداً. أم كركعة: الكركعة بلهجة تهامة: قائمة خشبية طويلة توضع فى أركان الدكة الخشبية لتقيمها.

٢٦- نافر: من نفر : أى طار وبعد.

٢٧- حاذيين البنادق: رابطين البنادق أمام بطونهم.

٢٨- يغدوا لى : يأتون إلى.

٢٩- غلبتنى : عذبتنى. أم يتيمة: اليتيمة . أى أنا اليتيمة تعذبت وبكيت وفى كل ساعة أبكى من عذابى. بكن: أى أبكى. الفعل هنا مضارع بلهجة تهامة وينتهى بنون النسوة.

٣٠- راعى أم لبن : بلهجة تهامة: راعى اللبن.

٣١- أم مزاقير: المزاقير: أى الأزقة والحوارى الضيقة. أم فتن: الفتن والمكايد.

٣٢- مصرى: الطرحة أو المنديل الذى يوضع فوق رأس المرأة فى اليمن. وهذه الكلمة هنا بلهجة تهامة وهى مسندة إلى ضمير المتكلمة بالياء، والمفرد مصرة والجمع مصرات. والمصرة هى الصرمة بلهجة تعز وجمعها صارميات: وهى مناديل مخصوصة للرأس وأثقل فى نسيجها من الشيل (منديل من الشاش الأسود المصبوغ مفردها شيلة) راجع: د. أحمد فخرى/ اليمن ماضيها

وحاضرها/٨٧-٨٨. تقول الفتاة إن سقوط الطرحة من فوق رأسها كان من شدة المفاجأة حينما رأت حبيبها، وإن كان سقوط الطرحة يعد عيباً فى بلادها، إلا أنها نسيت ذلك حينما احتواها الحبيب بين ذراعيه حيث شعرت بينهما بالأمان والطمأنينة. خلس : سقط. حلق عليه: حضننى ولوى ذراعيه حولى. ام بجيلى بلهجة تهامة اسم عاشقها أو صفته، وهى مأخوذة من (بجل) أى ضخم جسمه وحسن حاله واخصب وفرح فهو باجل. ربما تشير الفتاة إلى قوة حبيبها ويسر حاله أو إلى بلدته (باجل) وهى من بلاد لواء الحديدية بمنطقة تهامة باليمن، والبيت الثانى دليل على سعة رزقه وحسن حاله لامتلاكه سيارة آخر طراز أو (موديل) . ولكلمة (بجل) أيضا معنى التعظيم والتبجيل، بجله فى أعينهم: عظمه. وفلان مبجل فى قومه، وجئت بأمر بجيل وبخير بجيل. وقال زهير:

هم الخير البجيل لمن بغاه وهم جمر الغضا لمن اصطلاها

وهذا يؤكد ماذهبنا إليه فى شرح صفات المحبوب على لسان الفتاة.

راجع: الزمخشرى/ أساس البلاغة/ مادة بجل /

٣٣- تقصد بسيارة خمسة وثمانين أنها سيارة حديثة من آخر طراز، فالقصة التى تغنى هنا قديمة زمنياً. أم بلس: بلهجة تهامة البلس: وهو التين البرشومى «صنف من التين» راجع/ مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط جـ١/مادة : أبلس.

٣٤- وناونا: ترددت هذه الكلمة كثيراً فى الأغنية، وهى تأتى مع النداء، أو كصيغة تنبيه إلى ضمير المتكلم المفرد وتشبه فى أغانينا الشعبية فى مصر صيغة (يادينى يا اماه). اقهبى: بلهجة تهامة: صيحى بأعلى صوتك. أما فصيح الكلمة فأصله: قهب قهبا: كان لونه القهبة، والقهبة غبرة تعلو أى لون كان، مجمع اللغة العربية/ المعجم الوسيط/ جـ٢ مادة قهب. وربما يكون معناها الآخر طلباً للحزن، أى غيرى لون وجهك بالغبرة لمرض محبوبى. منوم: مريض ولايستطيع الحركة.

٣٥- شأبيع اذهبى: سأبيع ذهبى. وازود وأعظم: سأعطى المزيد من الذهب وأكثر منه لتوفير نفقات علاج حبيبى لدى الأطباء.

٣٦- د. أحمد مرسى/ المبدعون والمؤدون، التدريب والأداء/ بحث منشور بمجلة التراث الشعبى العراقية/ العدد الفصلى الأول/ شتاء ١٩٨٧/١٦١-١٦٢.

٣٧- بمقريشى: بكسر الباء وسكون الميم: بالفل القريشى، وهو من أجود أنواع الفل وينتشر فى تهامة باليمن وعسير بالسعودية والكلمة بلهجة تهامة.

٣٨- ماشايه: بلهجة تهامة: لا أريد منه شيئاً. جيفة : قبيح يرعى أم غنم: يرعى الغنم بلهجة تهامة.

٣٩- د. أحمد مرسى/ المبدعون والمؤدون، التدريب والأداء/ مرجع سبق ذكره/ ١٥٧-١٥٨.

٤٠- أم صرف : بلهجة تهامة : الصروف : أى صروف الدهر ونوائبه ومصائبه، وفى اللهجة ضمت الصاد مع الراء واستغنى عن الواو. والمعنى: يابؤسك أيها المغترب مما حدث لك من تقلب ظروف الزمن عليك.

٤١- كبوا: تركوا. أم غرف: بلهجة تهامة: الغرف، وتعنى السكن الجميل والمريح. والأصل الفصيح من الفعل: كبه على وجهه ولوجهه كبا: قلبه وألقاه. مجمع اللغة العربية/ المعجم الوسيط/ جـ٢/ مادة كبه. وهنا يكون معناها انقلاب حال هؤلاء المغتربين من الراحة والرزق الوفير إلى الشقاء وسكنى السقايف.

السقايف: مفردها سقيفة: العريش يستظل به: المعجم الوسيط/ جـ١/ مادة سقف. وهى ظلة لها أربع قوائم خشبية أو من جريد النخل، وسطحها مسقوف فقط، وقد اتخذها كثير من المغتربين اليمنيين سكناً لهم بعد عودتهم إلى بلادهم إبان أزمة الخليج ١٩٩٠/١٩٩١. لاحظ أن القاف فى «السقايف» تنطق جيماً فى اللهجة التهامية.

٤٢- تودن: أى أصبحت بلهجة تهامة. وأصلها الفصيح: ودن العروس والفرس: أحسن القيام عليهما. المعجم الوسيط/ جـ٢/ ودن. حبلى: حامل . بازيه: فعلها فى لهة تهامة: بزى يبزى : أى ربى يربى فمعناها هنا: مربية.

٤٣- فى عملية الزر يقوم الختان بجذب قلفة الولد (جليدته التى ستقطع) خارج حشفته ويربطها بخيط ليحدد المساحة التى ستقطع منها. القلفة: هى الجلدة التى يقطعها الخاتن من ذكر الصبى والجمع : قلف. والحشفة هى مايكشف عنه الختان فى عضو التذكير والجمع حشاف . المعجم الوسيط/جـ١/ مادة حشف / جـ٢ مادة قلف. ومن المجاز قول العرب: سيف أقلف: له حد واحد، وعيش أقلف: رغد ، وعام أقلف وسنة قلفاء: مخصبة. الزمخشرى/ أساس البلاغة/ مادة قلف.

أهم المراجـــع

١- الزمخشرى/ أساس البلاغة/ تحقيق عبد الرحيم محمود/ دار المعرفة لبنان ١٩٨٢.

٢- ابن عساكر / تبيين الامتنان بالأمر بالاختتان / دراسة وتحقيق مجدى فتحى السيد/ دار الصحابة للتراث بطنطا ط١/١٩٨٩.

٣- د. أحمد فخرى/ اليمن ماضيها وحاضرها/ مراجعة وتعليق د. عبد الحليم نور الدين / المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع/ط٢/١٩٨٨.

٤- د. أحمد مرسى/ الأغنية الشعبية / المكتبة الثقافية/العدد ٢٥٤/ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠.

٥- د. حسن ابراهيم حسن/ اليمن البلاد السعيدة/ سلسلة كتب اخترنا لك/ العدد ٥٢/ دار المعارف بمصر/ بدون تاريخ.

٦- د. خليل نامى / دراسات فى اللغة العربية/ دار المعارف بمصر ١٩٧٤.

٧- د. سيد فرج / الأسرة فى ضوء الكتاب والسنة/ دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة/ ط٣/١٩٩٢.

٨- مجمع اللغة العربية/ المعجم الوسيط/ دار المعارف بمصر جـ١/ ١٩٧٢/ جـ٢/١٩٧٣.

٩- د. محمد محمد سطيحة/ اليمن شماله وجنوبه / معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة ١٩٧٢.

١٠- مجلة اليمن الجديد / يوليو ١٩٨٧.

١١- مجلة اليمن الجديد / يناير ١٩٨٩.

١٢- مجلة التراث الشعبى/ العراق / العدد الفصلى الأول / شتاء ١٩٨٧.

١٣- مجلة التراث الشعبى / العراق/ العدد الفصلى الأول/ شتاء ١٩٩٠.

١٤- مجلة كلية الآداب بسوهاج/ عدد خاص بعنوان: دراسات فى اللهجات العربية /١٩٨١.

احتفالية الختان في اليمن

فرقة الطبالين

فرقة الطبالين

طفل يرتدي بدلة الختان قبل خروجه للعرضة

رقصـــة التبريـــش

لعبـــة الجدبـــى

أشهر الطبول اليمنية المستخدمة
مع رقصـــة المطولى

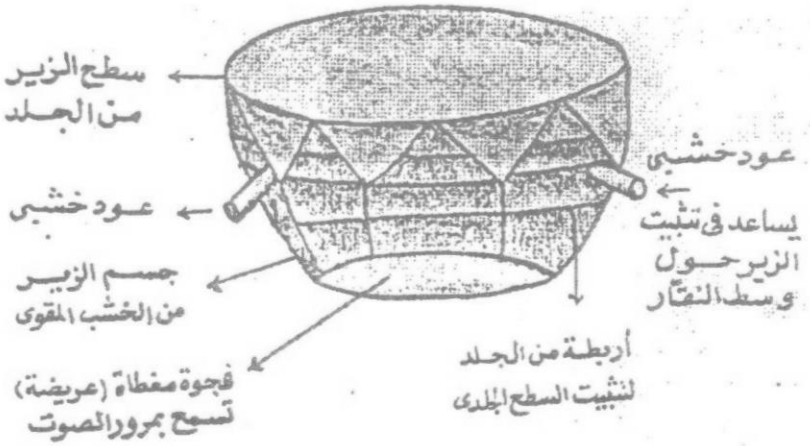

الـــزيـــر

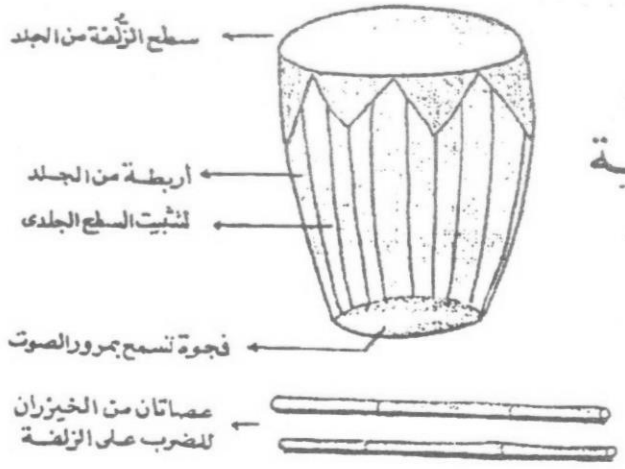

الزَّلفَـــة